

الشباب ووسائل الاتصال الحديثة

(الانترنت والجوال)

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾
[الكهف: ١٣].

نحن في الخطبة التاسعة من سلسلة قضايا الشباب تحدثنا: لماذا هذه السلسلة، الشباب في القرآن، الشباب في حديث رسول الله ﷺ، الشباب والعلم، والشباب والعمل، والشباب والمسجد، والخطبة الماضية عن الشباب والعفة، وعنوان خطبة اليوم: الشباب ووسائل الاتصال الحديثة.

أيها الإخوة:

يبلغ عدد مشتركى الهاتف النقال في سوريا نحو 2.5 مليون مشترك في حين يصل عدد المشتركين في خدمة الانترنت لمليون مشترك. وأظن أن أكثر من 90٪ من الحاضرين في هذه الخطبة له صلة بواحد من الأمرين أو بكليهما.

واعتقد أن معظمهم من الشباب؛ لذا رأيت جديراً بالبحث على هذا المنبر وفي هذه السلسلة موضوع خطبة اليوم الشباب ووسائل الاتصال الحديثة.

في القرآن الكريم أكثر من عشرين آية يمتن الله فيها على الناس عموماً وعلى المسلمين خصوصاً أنه سَخَّرَ لهم المخلوقات، سخر لهم البحر، سخر لهم الأنعام، سخر لهم السحاب، سخر لهم الشمس، سخر لهم القمر، سخر لهم الطير، سخر لهم النجوم، سخر لهم الأرض، وما عليها، بل إنه جل جلاله سخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾
[لقمان: ٢٠].

وقال ربنا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] فما في

الأرض من مخلوقات ومن مكتشفات ومن ثروات إلا وسخره الله تعالى للإنسان؛ لأنه المكرم عنده ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ولأنه خليفته في الأرض لإعمارها بطاعته ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].
والتسخير معناه سياقة إلى الغرض المختص قهراً.

ولتسخير هذه الأمور للإنسان سببٌ وهدف... أما السببُ فخدمته وإسعاده على الأرض، وأما الهدف فاختباره يشكر أو يكفر ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المالك: ٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

أما الموفقون فهم الذين ينجحون في الاختبار فيستعملون ما سُخِّرَ لهم في طاعته ومرضاته ويشكرونه على نعمه ﴿كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦].
وأما المخدولون فهم الذين يقولون: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦] ويقول أحدهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].
ووسائل الاتصال الحديثة (الانترنت والجوال) واحدة من مكتشفات كثيرة سخرها الله تعالى للإنسان، ولها سبب ولها هدف.

سببها خدمتك وإسعادك، فرداً أو جماعة، وهدفها اختبارك أتستعملها فيما يرضي الله، فتكون من الشاكرين أو تستعملها فيما يغضبه فتكون من الكافرين.

إن شبابنا المسلم يترواح استخدامه لهذه الوسائل بين الإسفاف والسقوط من جهة، وبين الرفعة والسمو من جهة أخرى، مما يجعل هذه الوسائل كغيرها سيفاً ذا حدين.
إن الشاب الذي يستخدم مواقع الانترنت التي تعرض الإباحية، ولعب القمار، والمخدرات، والتي تحرض على الجريمة لا بد أنه يقع في الإسفاف والسقوط.

وإن الشاب الذي يستخدم مواقع الانترنت التي تنشر البحث العلمي والدعوة إلى الله والعقود التجارية لا بد أنه ينظر نحو الرفعة والسمو.

إن الشاب الذي يستخدم الجوال لإرسال رسائل المجون والدعوة إلى مجالس الفحش لا شك أن منزلته ساقطة عن الشاب الذي يستخدم رسائله للدعوة إلى الله والدعوة إلى مجالس العلم .

إن استخدام البلوتوث والماسنجر وغرف الدردشة (التشات) لنشر الرذيلة والإضرار بالمجتمع مختلفٌ جداً عن استخدامها نفسها لنشر الفضيلة في الدنيا والآخرة ورقعة المجتمع في الدنيا والآخرة.

وإني أعرض عليكم الآن أهم ثلاثة أخطار لاستخدام وسائل الاتصال الحديثة،
ليحرص أحدنا على اجتنابها فيكون ممن انتفع من محاسن هذه الوسائل واجتنب مساوئها:

أولاً: الضرر الديني والخلقي.

وهو أخطرها ويتمثل في استخدام هذه الوسائل في المحرمات كتصفح مواقع
الفحش والعري، أو التعرف في غرف الدردشة (التشات) على مَنْ لا يحل لك التعرف
عليهن من المحرمات.

أو إرسال صور أو مقاطع فاحشة عبر البلوتوث وإشاعتها بين المؤمنين، والله تعالى
يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].
كتبت إحدى الفتيات إلى صديقتها تقول: لن تصدقي ما حدث لي وما فعلته بملء
إرادتي، كل ما أريده من هذه الدنيا المغفرة من الله عز وجل، ما من يوم يمر علي إلا
وأبكي مما فعلته بنفسي وإليك قصتي:

دعني ذات يوم إحدى صديقتي إلى بيتها، وكانت ممن تستخدم الانترنت وغرف
الدردشة فيه ودربني خلال شهرين على كل شيء فيه تقريباً! طلبتُ إلى زوجي أن يشترك
بالانترنت بخط خاص بالبيت ففعل بعد أخذ وردٍ.

بدأت أقضي ساعات على الانترنت وبنيتُ علاقات مع أسماء مستعارة لا أعرف
إن كانت لرجلٍ أو أنثى، كنت أحاور كل من يحاورني عبر التشات، حتى وأنا أعرف أن
الذي يحاورني رجل، كنتُ أطلب المساعدة من بعض الذين يدعون المعرفة بالكمبيوتر
والانترنت، تعلمت منهم الكثير إلا أن شخصاً واحداً هو الذي أقبلتُ عليه بشكل كبير؛
لما له من خبرة واسعة في مجال الانترنت، كنت أخاطبه دائماً وألجأ إليه ببراءة كبيرة في
كثير من الأمور حتى أصبحت أحدثه عبر الشبكة بشكل يومي وأعجبتُ به ونقل إليَّ
إعجابه.

وطلب إلي يوماً أن يسمع صوتي وأصرَّ على طلبه وهددني بتركي وتجاهلي في
التشات والإيميل إن لم أفعل، قَبِلْتُ، وشرطتُ أن تكون مكالمة واحدة فقط، استخدمنا
برنامجاً للمحادثة الصوتية، فأبدى زيادة الإعجاب، بعدها طلب رؤيتي، وافقت، والتقينا في

مكان عام، وحدثته أني متزوجة وعندي أولاد، وراح يصب عليّ من كلامه المعسول وعبارات الشوق إلى أن علقْتُ به، ومَرَّت الأيام، وطلب إلي أن أطلب الطلاق من زوجي ووعدني أنه سيتزوجني، وبدأت أقتنع بفكرته، وفي يوم سافر زوجي برحلة عمل لمدة خمسة أيام، فتحت الانترنت لأحدثه كالعادة وأخبرته بسفر زوجي فطلب لقائي، وجاءني إلى المكان المحدد بسيارة فارهة، ركبتُ معه، ذهب بي بعيداً على خوفٍ مني، وصلنا إلى مكان لا أعرفه رأيت رجلاً يقفُ على بوابة بيت ومزرعة، سألته ما هذا؟ فُتِحَ الباب الذي بقربي أخرجني الرجل الواقف بقوة ودُفِعْتُ نحو البيت وصرختُ ولكن لا مجيب، ثم ضربتُ على رأسي ضربةً أفقدتني وعيي ثم فعلوا ما فعلوه.

حين أفقتُ رأيت نفسي في منظرٍ رديء طلبتُ إليهم أن يُخلو سبيلي، ففعلوا وقالوا: سوف تذهبن إلى البيت ولكن يجب ألا تخبري أحداً وإلا ستكونين فضيحة أهلك، وإذا قدّمت شكوى سيكون الانتقام من أولادك.

هذه قصتي، أتمنى من الله أن يغفر لي أخطائي، وأنا الآن أطلب من زوجي الطلاق لا لأني لا أريده، ولكن لأني لا أستحقه بل أستحق الرجم، وفي المقابل أتمنى أن لا يحدث لأحدٍ ما حدث لي.

أول أضرار هذه الوسائل الضررُ الديني والخلقي.

ثانياً : الضرر الثاني : الضرر النفسي الاجتماعي.

إن الاستخدام المفرط لهذه الأجهزة تجعل المرء معزولاً عن بيئته الاجتماعية (الأب والأم، والأخ والأخت، والعمة والخالة، والزوجة والزوج) مرتبطاً ببيئةٍ جديدة يتصل بها إلكترونياً، بعيدة عنه عقيدةً وشرعيةً وأخلاقاً، مما يجعله يميل نحو العزلة والنفور، والقلق والتوتر، وفي العالم اليوم مراكزُ استشفاء ظهرت لمعالجة إدمان استخدام الانترنت؛ لإخراج المدمن عنها من عزلته عن محيطه الأسري العائلي أو الاجتماعي.

ثالثاً: الضرر الثالث: ضرر صحي.

قد باتت معروفةً اليوم لدى الأطباء مجموعة أمراض تدعى أمراض الكمبيوتر، تتسبب في الإصابة بإعاقات بدنية جسمية كآلام المفاصل، وآلام الظهر، وآلام الرقبة بصفة خاصة، والتهاب العينين.

ونشرت مؤخراً في ألمانيا دراسات تثبت أن الذين يقضون ساعات طويلة أمام الفيديو أو الكمبيوتر يُصابون بقصر النظر أكثر من غيرهم.
كل هذه الأمراض فضلاً عن الأمراض العصبية نتيجة امتصاص الشحنات الكهربائية من جهاز الموبايل وغيره.
أيها الإخوة الشباب, في نهاية هذه الخطبة, ما المطلوب منا مع وسائل الاتصال الحديثة؟

المطلوب أمران:

- 1- راقب الله وأنت تستخدم هذه الوسائل, واعلم أنه معك يسمع ويرى.
 - 2- استخدم هذه الوسائل في نفع نفسك وأمتك (في الدعوة إلى الله, في إبرام العقود التجارية, في زيادة تحصيلك العلمي...).
- قال رسول الله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك»⁽¹⁾.

والحمد لله رب العالمين

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (102), وأحمد في "مسنده" برقم (367) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .